الطائرات الأميركية على العاصمة هانوي أثناء الحرب الأميركية ـ الفيتنامية، لم تتم إلا في مراحل الحرب الأخيرة، وعندما حاولت أميركا أن تستعمل كل وسائل ضغطها لعلها تغير مسار الحرب لصالحها.

هذه الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية «الكاملة»، لماذا تنشب الآن، والآن بالذات؟ هل لأن بيغن المتصلب عاد ونجح في الانتخابات الاسرائيلية؟ وهل لأن بيغن المتصلب أقسم للاسرائيليين في مستوطنات الحدود أنه سيقضي على القوة الفدائية التي تشل اقتصاد مستوطناتهم وتدفع بهم للهجرة من جديد إلى مدن الداخل؟ قد تكون هذه هي الأسباب المباشرة، ولكن هناك بالطبع ما هو أعمق من ذلك، وأشد ارتباطاً بالاستراتيجيات المحلية والدولية، وهو ما يمكن أن نوجزه بالأسباب التالية:

١ ـ لقد نمت القوة الذاتية الفلسطينية في السنوات الأخيرة بمستويات تدفع بالقادة الاسرائيليين إلى القلق. وإذا كان يطيب للاسرائيليين أن يتحدثوا عن نمو القوة الذاتية العسكرية للفدائيين فقط، فهم انما يفعلون ذلك للتغطية على نمو عوامل القوة الذاتية الأخرى لدى الفلسطينيين، والتي يزعجهم الاعتراف بها. ومن أبرز هذه العوامل، ذلك التماسك السياسي الملفت للنظر بين سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، والذي نجح في منع اسرائيل حتى الآن من القيام بأي عملية اختراق، تبعد الجماهير الفلسطينية عن الولاء لمنظمة التحرير، أو توجد قيادة بديلة لها في أوساطهم، يكون وجودها بداية تراجع عن الأهداف المرحلية المعلنة: حق العودة، وحق تقرير المصير، وانشاء دولة فلسطينية مستقلة. يضاف إلى ذلك أن فلسطينيي ١٩٤٨، الذين تظن اسرائيل أنها استوعبتهم ودجنتهم، فاجأوا اسرائيل نفسها، بتحركات وطنية مشهودة، من يوم الأرض، إلى مؤتمر شفاعمرو، تشكل ارهاصات أولية لتحرك سياسي محدد يكون امتداداً وتكميلاً لتحرك الفلسطينيين في مختلف أماكن تواجدهم، ويمثل اختراقاً لاسرائيل من الداخل، ويحمل في طياته تأثيرات حساسة على مستقبل وضعها الداخلي.

٢ ـ لا يستطيع أحد أن ينكر، أن سياسة كامب ديفيد، قد واجهت فشلاً ذريعاً في جانبها الفلسطيني بالذات. ولم ينشأ هذا الفشل عن الخلاف القائم بين أنور السادات ومناحيم بيغن حول شروط الحكم الذاتي ومواصفاته، بقدر ما نشأ عن فشل كل من مصر واسرائيل في ايجاد فلسطيني واحد يقبل أن يكون طرفاً في المفاوضات المتعلقة بهذا الموضوع. وتدرك اسرائيل تماماً، كما يدرك معها النظام